وقائع مؤتمر

الإمام الحسين الدولي الرابع عليه السلام

٢٢٩ / ٣٠٧٠٦٣
م ٤٩٨ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٤ : ٢٠٢٣: كربلاء).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الرابع: القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة/ المؤتمر . - ط١. -
كربلاء: دار الوارث ،٢٠٢٣.
٨٢١ص. :٢٤سم
١. القرآن والمجتمع - مؤتمرات. / . العنوان.
م. و .
٣٦١٥ / ٢٠٢٣
المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦١٥) لسنة ٢٠٢٣

الناشر: دار القرآن الكريم - العتبة الحسينية المقدسة
التصميم والاخراج الفني: قحطان عامر الطائي
الطبعة/ الأولى
سنة الطبع/ ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣
المطبعة/ دار الوارث للطباعة والنشر

تمت ترجمة الملخصات في العتبة الحسينية المقدسة، مركز الاعلام الدولي،
ترجمة: أبا الحسن عباس

وقائع مؤتمر

الإمام الحسين عليه السلام الولي الرابع

المنعقد بعنوان

القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة

بالتعاون مع جامعة الزهراء عليها السلام للبنات في كربلاء المقدسة

للمدة من ١٥-١٧-٢٠٢٢م

الموافق ٨-١٠ شوال ١٤٤٣هـ

اللجنة المشرفة

أ. د. زينب عبد الحسن الملا السلطاني/ رئيس جامعة الزهراء عليها السلام للبنات

أ. د. نجاح فاهم العبيدي/ جامعة كربلاء

د. الشيخ خير الدِّين الهادي/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

د. السيد مرتضى جمال الدِّين/ المعاون العلمي لرئيس قسم دار القرآن

اللجنة العميَّة

أ.د. ضرغام كرم كاظم الموسوي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة كربلاء

أ.د. خليل شكري هيَّاس/ رئيس قسم اللغة العربيَّة جامعة الموصل

أ.م.د. طلال فائق مجبل الكمالي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة الوارث

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي/ الكليَّة التربويَّة المفتوحة مركز النجف الأشرف

أ.م.د. خالد محمود حمي/ جامعة الموصل

م. د. عماد طالب موسى/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

م. د. عمَّار حسن عبد الزَّهرة/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

د. باسم دخيل مراد العابدي/ كليَّة المعارف الإسلاميَّة

م. م. علي فليح علي الفتلاوي/ جامعة كربلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (١١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة:

الحمد للهِ الذي لا تُدركه الشواهد، ولا تحويهِ المشَاهِد، ولا تراهُ النَّواظِر، ولا تحجُبُهُ السَّوَاتِر، الـدَّالِ على قدمهِ بحدوثِ خلقِهِ على وجـودِه، وبحدوثِ خلقهِ على وجودِه، وباشتباهِهم على أن لا شَبَه له، الذي صدق في مِيعادهِ، وارتفع عن ظُلمِ عِباده، وقامَ بالقِسطِ في خلقِهِ، وعَدَلَ عليهِم في حكمه، مستشهدًا بحدوثِ الأشياءِ على أزليته..

اللهمَّ اجعل شرائف صلواتِك، ونوامي بركاتِك، على محمَّدٍ عبدِك ورسولِك، الخاتِم لمَا سبق، والفاتِح لما انغلق، والمُعْلن الحقَّ بالحقِّ، والدَّافع جيشات الأباطيل، والدَّامغِ صولاتِ الأضاليل.

وصلِّ اللهمَّ على أهلِ بيته، شجرةِ النُّبوَّة، ومحطِّ الرِّسالة، ومختلفِ الملائكة، ومعادن العِلم، وينابيعِ الحُكم.

وبعد ...

فقد عمل قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة على رعاية كتاب الله تعالى بشتَّى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصِّلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع إقامة المؤتمرات السنويَّة الدَّوليَّة؛ بغية تصدير المعرفة القرآنيَّة إلى المؤسَّسات العلميَّة والحوزويَّة والأكاديميَّة، ومن جملة المؤتمرات التي يرعاها قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدَّولي السنوي، وقد عُقِد في نسخته الرابعة بعنوان: (القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة) الموافق ١١/ ٥/ ٢٠٢٢ م.

وذلك لما لهذا الموضوع من أهميَّة قصوى في الحياة المعاصرة نتيجة ظهور آفاتٍ مجتمعيَّةٍ كثيرةٍ، فكان لزامًا أن تتصدَّى المؤسَّسات العلميَّة لوضع بعض المعالجات، وأهمُّ الأسس في هذا الجانب القرآن الكريم بوصفه العماد الأساس في تربية الإنسان وضمان الحياة الكريمة له، بعيدًا عن الشذوذ والآفات المجتمعيَّة، فكان القرآن الكريم خير معتمدٍ في مواجهة ما تعمل عليه الجهات العالميَّة المنحرفة في إشاعة السلبيات بين فئات المجتمع؛ إرضاءً لانحراف سلوكهم، أو بغية تحقيق مآرب مشبوهةٍ، أو منافع شخصيَّة، أو تحقيق هدفٍ شيطاني تسعى إليه القوى المهيمنة الظالمة في حربها لله تعالى وأوليائه، ومن هنا فإنَّهم بدأوا باستهداف القرآن الكريم حرقًا فيه وتمزيقًا له وبثًّا للشبهات في مضامينه؛ لمعرفتهم بقوَّة تأثيره في مواجهة انحرافهم ومآربهم، ولهذا فإنَّ علينا أن نبذل كلَّ ما بالوسع من أجل إيصال رسالة القرآن الكريم إلى كلِّ أرجاء المعمورة؛ حتَّى يعمَّ نوره كلَّ موطنٍ فيها وتكون الحجَّة البالغة لله تعالى، وعلى هذا الأساس كان انطلاق دار القرآن الكريم في عملها المعرفي من جعل القرآن الكريم والعترة الطاهرة أساسًا في تبنِّي المشاريع الإصلاحيَّة، إيمانًا بحديث الثقلين الذي جعل الرسول صلى الله عليه وآله القرآن وأهل بيته العاصمين من الضَّلال، ومن هنا عوَّل قسم دار القرآن الكريم في هذا المؤتمر على مراقبة بعض الأطر الإصلاحيَّة في القرآن الكريم على وفق ستِّة محاورٍ هي:

١. أنماط العلاقات الاجتماعيَّة على وفق المنظور القرآني.

٢. المجتمع المثالي في ضوء النَّصِّ القرآني.

٣. تحديات الحياة اليوميَّة وصورة معالجتها قرآنيًّا.

٤. القرآن والتغيرات الثقافيَّة.

٥. تقييم المشكلات الاجتماعيَّة المعاصرة من المنظور القرآني.

٦. الإصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين عليه السلام من المنظور القرآني.

وقد ورد لقسم دار القرآن الكريم بإزاء هذه المحاور مجموعة من البحوث تربو على الخمسين بحثًا من دول مختلفة، ناقشت مجموعة من القضايا المجتمعيَّة المعاصرة مع وضع بعض الحلول التي تلائم تلك القضايا من القرآن الكريم، وبعد عرضها على اللجان العلميَّة ترشَّح عدد منها وعمد قسم دار القرآن الكريم أن يطبعها في هذه الوقائع؛ تلبيةً للحاجة المعرفيَّة، وإسهامًا منه في رفد المكتبة الإسلاميَّة بالدِّراسات والبحوث الرصينة المعتمدة على المنهج العلمي في متابعة الأفكار ورصدها.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على محمَّدٍ وآله الطاهرين

الخطاب الحسيني الاصلاحي وعلاقته بأنسنة القيم الاخلاقية على وفق المنظور القرآني

د. وفاء كاظم

استشارية نفسية في مركز الإرشاد / العتبة الحسينية المقدسة

الملخَّص:

كرم الدين الإسلامي الإنسان وأعطاه الأفضلية على باقي المخلوقات، وجعله الله سبحانه خليفته في الأرض ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ جعل سبحانه، الإنسان حامل أمانة إنسانية على وجه الأرض تقوم على الأخلاق الفاضلة لبناء الانسان والمجتمع على اسس سليمة لصالح الانسان ذاته.وعليه فالإنسانية هي إدراك قيمة الإنسان كمخلوق له الافضلية والتكريم.

وقد تبنى العقل الإنساني الحر المفكر حركات إصلاحيَّة عبر مرِّ العصور كان لها دور مميز في تغيير الإنسان المستند على إدراكه بتحمل مسؤوليته، والأخذ بيده إلى أن ينال كرامته، و أن يأخذ حقوقه من دون منٍّ بما يُعطَى له ليُؤكّد على ثوابت ترى أنسنة القيم الأخلاقية ركنا أساسا في الحياة الإنسانية.

ونظرا إلى أنَّ الخطاب الحسيني خطاب إسلامي وإنساني مفتوح تضمن القيم الاخلاقية تأكيدًا على الاصلاح، وقد قال:(وأني لم اخرج أشرا، ولا بطرا، ولا مفسدا، ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف، وأنهي عن المنكر).

وإنَّ إعادة التأمل في القيم الاخلاقية بالتجربة الانسانية من طريق الخطاب الحسيني يعد ضرورة ملحة يمكنها ان تساهم في نمو الفكر الإنساني العالمي والثقافة العالمية الحرة، لتجاوز الصورة غير الواضحة اليوم عن الإسلام وعلاقته بالإنسان والتي نراها متعددة في مختلف القنوات الفضائية.

وقد قدَّم الحسين عليه السلام أكبر دليل على أنَّ الدين يؤنسن القيم الأخلاقية وأظهر عليه السلام أنّه ليس طالب ملك، بل طالب كرامة إنسانية، وليس طالب غلب، بل طالب تحرّر فكري واعٍ، وليس طالب ثأر، بل طالب عدالة اجتماعية إنسانية...

واحتضنت الطروحات الحسينيّة من طريق خطبها الفكرية الواعية الوحدة والتقارب بين المسلمين. فالحسين عليه السلام هو للأُمّة جميعًا.

وأكد الحسين عليه السلام إرادة الفرد هي التي تخرج المفهوم من القوة إلى الفعل، إذا التزم بها، بما في ذلك القيم الاخلاقية الرفيعة التي هي قيم إنسانية أساسا، فالأخلاق تتحول إلى واقع عملي متى ما التزم بها الفرد ومن ثمَّ المجتمع، وغدا سلوكا أخلاقيا في الفضاء العام.

وعليه إنَّ أنسنة القيم الاخلاقية في الاصلاح الحسيني لها الأثر الواضح في بناء شخصية الإنسان، كون الارتباط وثيقا بين القيم الأخلاقية الحسينية والتربية النفسية الانسانية.

فالخطاب بمستوى رسالة إنسانية معبرة عن قيم أخلاقية نبيلة تعطي معنى للإنسانية وسمو قيمها، ورفعة أهدافها؟

ما يجب قوله هنا، هو إن المبدأ الأساس في بناء الخطاب الحسيني يتمحور في هذا السؤال: كيف ينبغي أن نطبق القيم الاخلاقية التي نادى بها الخطاب الحسيني؟

وإلا فإننا نمارس عمليّة تحجيم لثورة الحسين عليه السلام، عندما نختزلها في زمن معين، أو نفصلها عن معانيها ودلالاتها المستمرة مع العصور.

الكلمات المفتاحيّة: الخطاب الحسيني، الإصلاح، الأنسنة، القيم الأخلاقية، المنظور القرآني.

Summary:

The Islamic religion honored Mankind and gave him preference over the rest of the creatures. Almighty Allah made him his inheriter on earth. " I will create a vicegerent on earth."

Allah made Mankind the bearer of a Humanitarian trust on earth based on virtuous morality to build Mankind & society on solid foundations for Humankind's benefit. Therefore Humanity is the realization of Mankind's value as a creature with preference & honor.

The free and intellectual human mind has adopted reformist movements throughout the ages that have played a distinctive role in changing the human being based on his understanding of his responsibility, helping him until he has his dignity, and taking his rights without any form of favor for what he gets to emphasize the constants that see the humanity of moral values as the cornerstone of human life.

As Hussain's speech is an open Islamic-humanitarian speech that incorporates moral values as an affirmation of reform, as he had said (PBUH): " I didn't come here to seek bad things, I came to represent the justice of Allah, to reform the Society of my grandfather's nation (prophet Mohammad), to promote good, and forbid evil, for that I came, and for that, I'm going to be killed."

Rethinking ethical values through human experience through Imam Hussain's discourse is an urgent need that can contribute to the growth of global human thought and free global culture, to go beyond today's unclear image of Islam and its relationship with Mankind, which we see it differently in various satellite channels.

Imam Hussain (PBUH) has provided the Greatest evidence that religion fortifies moral values and has demonstrated that he doesn't seek the crown, but seeks humanitarian dignity, doesn't seek winning but conscious freedom, and doesn't seek revenge but human social justice.

Imam Hussain's theses adopted unity & rapprochement among Muslims through their intellectual speeches, as Imam Hussain belongs to the whole nation.

As Imam Hussain affirmed, a person's will creates the concept of actions if he adheres to it, including noble moral values, which are humanitarian values too;

morals become a practical reality if a person adheres to them, then society too.

Thus, the humanization of ethical values in Imam Hussain's reform has the Obvious effect of building humankind's personality; because of the close connection between Imam Hussain's moral values and Humanitarian psychological education.

Giving a Speech at the level of humanitarianism Message shows noble moral values that honor humanity, its high level, and noble goals.

What must be said here is that the essential principle belongs to this question: How can we apply the moral values that Imam Hussain's speech sought?

Otherwise, we narrow down Imam Hussain's revolution (PBUH) when we reduce it to a particular time or separate it from its meaning & continuing connotations through the ages.

خطَّة البحث:

قُسِّم هذا البحث (**الخطاب الحسيني الاصلاحي وعلاقته بانسنة القيم الاخلاقية على وفق المنظور القرآني**) إلى: مدخل نظري شمل: المشكلة، والأهمية، وتعريف المصطلحات.

ومنهجية البحث: حيث استعملت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي، وهو الطريقة التي يتم فيها بذل غاية الجهد العقلي والنفسي عند دراسة النصوص وتحليلها من أجل استخراج المفاهيم مستعينة بالمراجع والكتب لتكتشف آليات الخطاب الحسيني في تشكيل معنى الإصلاح الاجتماعي.

ثمَّ أربعة مباحث:

المبحث الأول: وفيه تعرضت إلى **الأنسنة (النزعة الإنسانية المؤمنة)** وركزت على الشخصية المسلمة واتخاذها للأنسنة، وذلك لأهمية النص في التراث العربي الإسلامي

أما المبحث الثاني: فتطرقت فيه إلى الخطاب الإصلاح الحسيني المستند على المنظور القرآني، وقسم على وفق المعنى الاصلاحي على قسمين:

١. الإصلاح المعرفي ٢. الإصلاح الإداري

أما المبحث الثالث: فتضمن: الخطاب الحسيني الإصلاحي وعلاقته بأنسنة القيم الأخلاقية وفيه مطلبان.

١. أنسنة القيم الأخلاقية في الخطاب الحسيني، وشمل تقسم القيم الأخلاقية على فضيلة ورذيلة.

٢. أبعاد أنسنة القيم الأخلاقية في الخطاب الحسيني، وتضمن أربعة أبعاد (الديني – السياسي – الاجتماعي – الوجداني).

وكان المبحث الرابع بعنوان: تأكيد المنظور القرآني للقيم الأخلاقية في الخطاب الإصلاحي، ثم النتائج، والتوصيات، والمصادر.

المشكلة:

لعل الأخلاق تصدر إراديًّا عن الإنسان، فالأخلاق الفاضلة تحقق في الإنسان معاني الإنسانية الرفيعة، وتحيطه بهالة من الكمال الإنساني، كما تمسخ الأخلاق الذميمة، وتحطه إلى عدم الإنسانية، ومن هنا أصبح الإنسان يتآمر على أخيه الإنسان عبر الحروب المتتالية بحجة أو دونها فضلا عن غير استقرار وعدم الأمن المجتمعي، وازدواجية المعايير في القيم الأخلاقية التي أدت إلى التطاحنات المذهبية التي قد لا تنتهي في هكذا مجتمع.

وعلى الرغم من الكمِّ الهائل من دعوات الحوار ومؤتمرات التقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ وهما مفتاح القرن الواحد والعشرين ـ إلا أنَّنا لمسنا التوجّه التكفيري فعلًا واقعًا على الساحة العربية.

وبما أنَّ المشكلة ليست في الدين؛ بل في قراءتنا للدين وفهمنا له، كالقراءات والفهم التي تدعو إلى الاستكانة والرضوخ إلى القدر المكتوب الذي فهم فهما متحيزا وموضع في غير موضعه، وهذه القراءات استحوذت على تفكير الإنسان وانعكست سلبًا على حركته العقلية المعرفية وجعلته يتوجه توجهًا غير إنساني[1].

فضلا عن انتشارِ المناهج الفكريّة التي تدعو الإنسان إلى الإباحيّة الفكريّة والعمليّة أيضًا، والجرأة على كلّ المقدّسات السماوية، وهي ظاهرة ليبرالية طبيعيّة في ضوء معاداة الفكر الديني وتدميره بكلّ الوسائل، والسعي لاعتباره مجموعة خرافات وتخلف للسيطرة على مصائر البشرية، ومسارٍ تفكيري خطيرٍ، يقطع الإنسان عن تعاليم السماء، موغلًا في ملذّات الدنيا وأهوائها.

(١) اركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية، ص٧٦ .

لذلك يتطلب العمل على أنسنة القيم الأخلاقية جهدًا وصبرًا، وهي مفهوم مركب معقد، ما يجعلنا نتساءل أمام هذه الحقيقة، هل يعد الخطاب الحسيني قادرا على أنسنة القيم الأخلاقية؟ وهل طروحاتنا الحسينيّة عصريّة ومقنعة وتتسم بالاستمرارية بحيث تتوافق مع الفكر المعاصر للشباب؟

لذلك فإنني أدعو إلى معرفة بيان الخطاب الحسيني الاصلاحي في الفعل الأخلاقي ومدى تأثيره في نهاية المطاف على إنسانية أخلاق الإنسان (أنسنة القيم الأخلاقية)

إنَّ هذا النوع من الأنسنة يركز على الإنسان من حيث أنه يحمل عقلاَ مسؤولاَ، وفي حالة تفاعل مع عقول إنسانية أخرى، ولكنها ليست تلك التي تتخطى الدين؛ بل هي المعرفة العلمية المنتجة من طريق العقل المنطقي على وفق المنظور القرآني.

الأهميَّة:

اهتمت الدراسات الإنسانية بدراسة الأخلاق وجعلتها في خدمة الإنسان كما تباينت مناهج البحث في ذلك لتجعل قيمة المرء تقدر بأخلاقه، فأصبحت للأخلاق قيم أخلاقية وتربوية تمثل جزءًا من حياة الإنسان، ومنحت القيم الأخلاقية الفاضلة سعادة لمن يطبقها ذلك؛ لأنَّ الإنسان مجهز بضمير وجداني يستقبلها ويتقبلها [١].

وكذلك تبني القيم الأخلاقية سلوك المجتمعات، وتعد موجهات لتربية وتنشئة الأجيال فيما بعد.

لذلك أنَّ أهميَّة أنسنة القيم الأخلاقية هي أن نستثمر قراءتها وفهمها على نحو عملي تطبيقي انتاجي مثمر، يدفع بالإنسان إلى الوعي والمعرفة الحقة لأخيه الإنسان [٢].

والأنسنة هي الموقف الإنساني لمقدار حجم قدرات الإنسان الأخلاقية ومدى

(١) محمد باقر السستاني، تهذيب النفس، ص٢١.
(٢) محمد اركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد،ص ٥.

تكرارها على وفق العقل ومسارات المعرفة، وتعد استراتيجيات للتدخل من أجل تحجيم المواقف الإنسانية وحتى استئصالها إذا أمكن ذلك، وعليه فإنَّ أي مجتمع بحاجة إلى أنسنة القيم الأخلاقية؛ لتحقيق التنمية بجوانبها المختلفة وبناء شخصية الإنسان ليتحمل مسؤوليته الإنسانية والاجتماعية [١].

وعليه فإنَّ وظيفة أنسنة القيم الأخلاقية هي تكوين علاقةٍ عضويّةٍ منطقيّةٍ مباشرة مع السّلوك الإنسانيّ في أبعاده الحياتيّة كلّها، وكذلك لها صلات قويّة جدًّا مع طبيعة الأنظمة التشريعيّة والاجتماعية المدنية وبناء الحضارات [٢].

وإنَّ الانهيار الحضاريّ يحصل على أثر العجز الأخلاقيّ والدينيّ. فإن (الحضارات لا تموت قتلًا، وإنّما تموت انتحارًا).

لذلك أنَّ أنسنة القيم الأخلاقية هي مشروع بناء الإنسان وتهذيبه من الداخل، مما يجنّب الحياة كثيرًا من الكوارث غير الإنسانية، وهو أمر سيطوّر المعارف النفسيّة البشريّة[٣].

تعريف المصطلحات

١. القيم الأخلاقية:

القيمة لغة: هي ثمن الشيء ويقال كم قامت ناقتك؟ أي كم بلغت؟ [٤]

القيم اصطلاحًا: أفكار أو تصورات توجه أفعال الأفراد في المجتمع وتحكم سلوكهم، وتأخذ صفة العمومية لديهم.

(١) اندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ص٢٣.
(٢) محمد علي ميرزائي، المرجعية الفكرية للفكر الإسلامي،ص٤٥.
(٣) زياد عبد الكريم النجم، تويبني ونظريته...التحدّي والاستجابة، ص٣٤.
(٤) ابن منظور – لسان العرب – ص ٥٠٠.

٢. الأنسنة:

هي الموقف الإنساني لمقدار حجم قدرات الإنسان ومدى تكرارها عبر تاريخ البشر، على وفق العقل ومسارات المعرفة واستراتيجياتها للتدخل من أجل تحجيم المواقف غير الإنسانية وحتى استئصالها إن أمكن ذلك [١].

٣. الخطاب لغة:

بمعنى خاطبه مخاطبة وخطابًا: كلّمه وحادثه ووجّه إليه كلامًا، ويُقال: خاطبه في الأمر: حدّثه بشأنه [٢].

الخطاب الحسيني الإصلاحي: هو مجمل المخاطبات الكلامية التي صدرت عن الإمام الحسين عليه السلام، التي انضوت مضامينها على النصح والإرشاد، وتغيير الأحوال من السيء إلى الحسن، ومن الفوضى والمخالفة إلى الالتزام والاستقامة على ما يدعو إليه العقل والشرع آملًا في صلاح الأُمّة[٣].

المنظور القرآني: هو وسيلة لقيادة العقل الإنسانيّ إلى الحقيقة، القرآن الكريم كتاب الله سبحانه الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله.

هدف البحث: التعرف على بناء الجانب الأخلاقي للإنسان في خطاب الإمام الحسين عليه السلام.

(١) اندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ص٥٨٨.

(٢) عبد الكريم عبد الحسين الدباج لخطاب السياسي في نهج الإصلاح الحسيني، https://www.warithanbia.com/ .

(٣) نصار، أسعد نصار، إصلاح الُأمّة في ضوء الكتاب والسنّة، ص٤٧٧.

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بدراسة الخطاب في نهج الإصلاح الحسيني للمدّة الزمنية المحدّدة بسنة (٦١هـ) وأثرها في مجتمعاتنا.

منهج البحث:

استعملت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي.

المبحث الأول: الأنسنة (النزعة الإنسانية المؤمنة)

كلمة إنساني «Humanist» مشتقة من المصطلح الإيطالي «umonista» في القرن الخامس عشر، ويعنى المعلم أو الباحث العلمي في الأدب اليوناني.

وهي النزعة الإنسانية المؤمنة، غير النزعة المُلحدة التي يمثلها في العصر الحديث «سارتر – وهيدجر» والتي تعنى التمرد على الله [١].

ولذلك ارتبطت الأنسنة بالمجهود المبذول من أجل الرفع من الكرامة الإنسانية، وهدفها تحقيق المثل الأعلى للكمال الإنساني في المجالات كافة من أخلاقية وفنية وجمالية وأسلوبية واجتماعية وسياسية، فهي تعمل من أجل الإنسان حتى تخلصه من الرواسب التي ارتبطت به [٢].

ومع ذلك يعد مصطلح الأنسنة من المصطلحات الحديثة، وقد تعددت تعريفاته واستعمالاته بطرق متباينة:

عرفها مناهضو العولمة: للتعبير عن عولمة أكثر إنسانية (أنسنة العولمة)، كي تحمي حقوق الفقراء والعمال والدول الناشئة والنامية.

(١) صحيفة المثقف العدد: ٥٦٥٤ – ٢٠٢٢م.
(٢) هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الاوربي، ص ٧٥ .

عرفها محمد أركون: بأنها الموقف الإنساني الذي يقدر حجم قدرات الإنسان ومدى تكرارها عبر تاريخ البشر، واقترح مسارات للمعرفة، واستراتيجيات للتدخل من أجل تحجيم المواقف غير الإنسانية، وحتى استئصالها إذا أمكن ذلك، ففي الأنسنة يكون محور الاهتمام هو الإنسان، والإنسان الفرد الحر المتميز؛ إذ تعتمد علاقة جديدة بين الإنسان والعالم، تكون الأسبقية فيها للإنسان(١).

وتأتي الأنسنة بأنَّها مجموعة من وجهات النظر الفلسفية الأخلاقية التي تركز على قيمة الإنسان وكفاءته، سواء أكان فردًا أم جماعة، وتفضل عمومًا التفكير والاستدلال العقلاني عرفها اندري لالاند في قاموسه الفلسفي: بأنها مركزية إنسانية متروية تنطلق من معرفة الإنسان، وموضوعها، تقويم الإنسان وتقييمه، واستبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته(٢).

وعرفها إيمانويل كانط بأنّها هدفُ الأخلاق ومركزية العقل الواعي في الفاعلية الحرة التي تقود إلى ارتقاء الإنسان(٣).

وتعد الأنسنة استراتيجية نقدية تكرس كل القيم الأخلاقية الفاضلة التي تعيد الاعتبار للإنسان كالعقلانية، والحرية الفكرية الواعية، والعدالة الاجتماعية، وضرورة تفضيل المعنى على القوة المتهورة أو السلطة الفاسدة، وتفضيل السلم على العنف، والمعرفة على الجهل.

وفي ثقافتنا العربية يقتضي تحرير الإنسان، وإعادة بناء تفكيره العقائدي على أساس المنهج القراني، الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وطبقه الائمة عليهم السلام من بعده.

وارتبط ظهور الأنسنة أو المذهب الإنساني عموما بعصر الاصطلاح أو الحاكم

(١) اركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص٧٦ .
(٢) اندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ص٥٦٩.
(٣) دعاء الجوهري، ص٨٤.

الذي يفترض أن يكون ممثلًا للشعب.

تنتظم الأنسنة في جميع الحالات بالتسليم الواثق لله سبحانه، والارتباط المستمر به أي أنَّ شعور المؤمن بذاته مرتبط بشعـوره بخالقه؛ وذلك من طريق مديونية المعنى[١]

من شروط الأنسنة تحرير عقل الإنسان والاهتمام به بعيدًا عن محددات القبلية والعنصرية المقيتة.

ذلك تتضمن الأنسنة الأدب وكل المعارف والعلوم والقيم الأخلاقية النبيلة، وتتجسد في شخصيات مهذبة، وتهدف إلى توفير الخير لكل جماعة من طريق تنمية الإمكانيات المعنوية والثقافية للفرد ومساعدته على الازدهار والتفتح الفكري الواعي، لذلك يمكن أن نقول إنَّها تمثل دائرة ثقافية تدعو إلى حضارة إنسانية نبيلة[٢].

فالأنسنة بوصفها تحريرًا للذات الإنسانية في وعيها لذاتها وللعالم، وتحريرها للإنسان، وجعل العقل الإنساني الواعي في مرتبة الحاكم وصاحب السلطة في جميع معارفه وانجازاته، وحرية فهم متطلبات المجتمع بعيدًا عن التوجهات القبلية، وبهذا تكون الأنسنة شرطًا للتأويل ويكون التأويل شرط للأنسنة[٣].

وهذه الثقافة دالة المجهود والمبذول للرفع من الكرامة الإنسانية، بمعنى من حق الإنسان أن يحقق الخير في الدنيا، وعليه تكون الأنسنة شعور بالنتيجة عندما يعتمد الإنسان القيم الأخلاقية المجربة للإصلاح والمعروفة شرط أن يحصر حدود طموح الأنا داخل الحيز الحيوي الطبيعي لها، عندها سيكون أمام منظومة من القيم الأخلاقية والعلاقات ترتقي بتلقائية من دون أن تحتاج إلى استنباط قيم ومحددات جديدة.

ومن بين الشخصيات التي مثلت الأنسنة هي الشخصية الفكرية الإسلامية، وقد

(١) أركون، الأنسنة و التأويل، ص٧-٤٣ .
(٢) علي اسعد وطفة، مفهوم الاخلاق قراءة فلسفية معاصرة، https: / /tanwair.com/ .
(٣) اركون، نزعة الانسنة ص٦٠٨.

انتفضت وثارت من أجل الإنسان وبسم الاصلاح، وكذلك العلاقة بين الإنسان والله سبحانه ترفض النزعة الإنسانية الشكلية السطحية، وتتجه نحو نظام أخلاقي يعاش على أرض الواقع ويتجسد في نظام فيه العدالة الاجتماعية والمساواة في الفرص واحترام الإنسان هو أغلى وأعزَّ شيء في الوجود[١].

وغاية الأنسنة وجهدها تفهم عالم الإنسانية، بمعنى الفكر الذي يظهر الإنسان على إنسانيته، ويعزز فيه دوره الاجتماعي، وثقافته الإنسانية المشتركة، التي لا تكتمل إلا بهذه المفاهيم: وهي العمل المفضي إلى البناء، والحرية الفكرية الواعية، وإدراك العدالة الاجتماعية.

المبحث الثاني: خطاب الاصلاح الحسيني المستند على المنظور القرآني

كل أمة من الأمم إذا ابتعدت عن الدستور الإلهي تعاني من مدَّةٍ إلى أخرى من حالة الانسداد على المستويات كافَّة، وعندئذ قد يضطرب الناس ولا يعود أحد يعرف أين المخرج ولا كيف؟، وفي تلك اللحظات الحرجة بالذات يقوم الأنبياء والأئمة والأولياء والمصلحون الكبار لفك حالة الانسداد هذه، واكتشاف مواطن الخلل، وإعطاء دافع جديد للأمة؛ لكي تثق بنفسها وتنطلق من جديد إلى (الاصلاح): وهو السعي لإحلال الخير وإثبات الاستقامة.

يمثل مفهوم الاصلاح سمة المجتمع المؤمن، وجهده إزالة الفساد والظلم والانحراف، وبناء أسس الحق والعدالة الاجتماعية، وهو الشعار الذي رفعه النبي شعيب عليه السلام عندما أراد تعديل مجتمعا وجاء في القرآن الكريم تأكيدًا على أهميَّة الأمر به والدعوة إليه، قال تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ**

(١) اركون الفكر الانساني ص٢٠٩.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود ٨٨ .

وجاء مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم واحدًا من مفاهيم المنظومة المفتاحية الجامعة بين الأفكار والأشخاص والسلوك. ويعد تغيرًا جذريًا متكاملًا بما يخدم الإنسان(١).

ويرتبط الإصلاح ببناء الأمة وإخراجها من الانحراف إلى السوية، ومن الفساد إلى الصلاح، كما يرتبط بالبناء المعرفي العقلي، ويتجه إلى الاستقامة والسلامة من العيب، ونقيض الإصلاح في القرآن الكريم الفساد، وتارة بالشر وتارة بالظلمات وتارة بالفجور(٢).

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(ابراهيم ١)، ومحور هذه الحركة (الإنسان)؛ لأن (الإنسان) داخل المجتمع تجاذبه قوى الخير وقوى الشر ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (٧-١٠ الشمس)

فالباعث الأساسي في حركته(عليه السلام): هو الإصلاح «**إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا، ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أريد أن آمر بالمعرف وأنهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين**»(٣).

عَكس الخطاب الإصلاحي الواقع الاجتماعي واقع التجهيل الذي اتخذه الأمويون سبيلًا؛ لتفريق الناس عن الإمام الحسين(عليه السلام)، وأوهموا الناس بأن الحسين يطلب الحكم والسلطة، فخرج على إمام زمانه، وهو بهذا الفعل يشقّ عصا المسلمين،

(١) عمر السيد، مدخل الاصلاح في الامة، ص٧٧.
(٢) المعجم الوسيط ص٥٢٠ .
(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - ص ٣٢٩ .

ويفرق كلمتهم؛ لهذا استدعى السياق الخطابي.

استعمال **أسلوب القصر** في الخطاب (وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي)؛ لتنبيه متلقي الخطاب وتذكيره بأمر ثابت معلوم إلا وهو (الإصلاح) الذي قصر خروجه عليه، وهذه الوظيفة هي الامتداد الطبيعي لوظيفة الإنبياء عليهم السلام، الذي يؤكد ذلك استعماله **لأسلوب النفي** المشحون بقوة إيحائية تعبيرية رافضة لسلوك يزيد المتمثل للشر والطغيان والفساد والظلم في قوله عليه السلام: (لم أخرج أشرًا ولا بطرًا، ولا مفسدًا ولا ظالمًا)، وهذا السلوك كان متجذرًا في سلوك يزيد، فضلًا عن ذلك **أسلوب الشرط** الذي أوجده الإمام في خطابه: «فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين»[1]، وهو بذلك يؤكد الامتداد الإصلاحي الرباني في خطابه، وخصائص هذا الخطاب الإصلاحي، كما تمثلت محاوره في أنسنة القيم الأخلاقية، وتشكيلها بما يخدم الإنسانية.

وجعل الإمام الحسين عليه السلام في بنية خطابه الشرطي التلازم بين القيم الأخلاقية والأثر في متلقي إيقاع الخطاب، من طريق رسم خطين متوازيين:

خط يمثل القيم النبيلة التي تمثلت بسلوك الإمام الحسين عليه السلام.

وخط يمثل القيم الرديئة التي تمثلت بسلوك يزيد، فدلالة النص الاجتماعية كانت السبب الرئيس في بناء النص وتشكيله.

وهذا الرفض يؤكد سمة حسينية عالية، تمثل (الإرادة، والشجاعة، والقوة، والثبات على الحق).

كذلك رسم الخطاب الحسيني بشكل متوازٍ بين القيم والمبادئ الصاعدة التي تحفظ للإنسان هويته، وبين القيم والمبادئ الهابطة، التي تنسخ هذه الهوية، ونتائج ذلك

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٤٤ – ص ٣٢٩ .

السلوك الذي يؤمن به الإنسان في ذلك المجتمع.

كما تميز الخطاب الإصلاحي الحسيني بأنَّه يحقق قابلية النص للرسالة التوجيهية ليس فقط لمعاصر النص، أي الزمان المكتوب فيه النص وإنَّما لكلِّ جمهور المتلقين عبر العصور، وقدرة النص على الانتقال إلى الحياة النفسية للمخاطب، ويرتبط النص موضوعيًّا بمرجعية واقعية هي الأحداث التي يصفها النص الخطابي [١]

إذن هدف الإمام الحسين(عليه السلام) إلى حركة إنسانية أراد فيها تحريك وجدان الأمة وتفكيرها التي غلب عليها الجهل والظلم.

فمن **القيم السماوية** في الخطاب الحسيني كما جاء في قوله(عليه السلام): «فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين [٢]، فالقبول والحق، والصبر، والحاكمية، قيم سماوية، جاء بها الخطاب الإصلاحي من أجل تحقيق التواصل، وإيجاد التفاعل، حتى يقع الأثر، فتلزم الحجة على المتلقي، من أجل تحقيق (العدالة الاجتماعية) بتطبيق قوانين السماء، والاحتكام إلى العقل الواعي، وفي قبال ذلك نبذ قيم (الفساد، والبطر، والجهل، والظلم)[٣].

ولعلّ النّاظر في مفردات الخطاب الحسيني يكتشف أنّ أكثر المسائل التي أثارها ـ تتعلق بالقيم الأخلاقية وهي بلا شرط ـ تتّجه نحو الإنسانيّة، وتخاطب الضمير الإنساني الحر من حيث هو إنسان. فكلّ ما نطق به الإمام الحسين(عليه السلام) أصبح أساسًا مطلبيًّا لا يمكن الاستغناء أو التعويض عنه، ويستطيع أن يفهمه الإنسان الحر المفكر بوصفه إنسانًا في كلّ عصر وفي كلّ جيل.

(١) إدريس هاني، النّهضة الحسينيّة من منظور مغربي:/ / www.erfan

(٢) مصدر سابق .

(٣) حازم طارش حاتم، سوسيو لسانية الخطاب الحسيني(عليه السلام)، ص١١.

وفي الخطاب الحسيني نستطيع الوقوف على فكر احترام الآخر واحترام الحياة، حيث ليس استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إلّا فضحًا لذلك النّهج القائم على قتل النّفس المحترمة[١].

وهذا يدل على عمق حكمة الإمام الحسين عليه السلام ومعرفته فيما سيأتي به مستقبل أمته. إنّ هذا البناء الذي يحصّن العقل والفكر ويحيي الثقافة لا يتمّ إلّا بخطاب حضاري ثقافي أخلاقي ينبع من القيم الأخلاقية، ويسعى إلى تكوين بصيرة بأهمية الأخلاق الإسلامية وقيمها الحيويّة، وتفوّقها على كلّ القيم الاجتماعية والحضارية الموجودة لدى الأُمم الأُخرى. ثمّ لا يمكن تبديلها أو تعويضها بأيّ حال من الأحوال[٢].

ويقسم الإصلاح على:

١. الاصلاح المعرفي:

إنَّ كل فكر يتمحور حول الإنسان وهمومه ومشاكله يعد فكرا إنسانيًّا عقلانيًّا فلا يمكن أن يكون شيء في الحياة أجمل روحيا ولا أروع من الإنسان، ومن هذا المنطلق فالإنسان هو المرتكز والغاية في أي عملية فكرية على وجه الأرض، وهذه العملية الفكرية نابعة من ثقة الإنسان الحر العاقل القادر على إنجاز الأشياء العظيمة ولولاه لما عمرت الأرض.

ولم يجعل الله تعالى لأحد سلطانًا على حركة الإنسان الفكرية الداخليّة، فالإنسان حر في تفكيره إلا أنَّ هذا التفكير لا قيمة له إذا لم يكن واعيًا منطقيًّا وله الحقّ في الظهور للناس، والإعراب عمّا يراه صوابًا.. لذلك إنّ عدم الإعراب عن أفكارنا من أهمّ أسباب خنق هذه الأفكار، ومن أعظم وسائل الغصب لحرّيّة التفكير، ويستند الإصلاح المعرفي

(١) إدريس هاني، النّهضة الحسينيّة من منظور مغربي h://www.erfan.
(٢) سنان سعيد جاسم، ص٤٣.

على العملية المعرفية التي تقوم على الفكر، وهو أرقى وأسمى مراحل الإنتاج الفكري الإنساني مطلقًا، الذي هو نتاج الجهد المعرفي العلمي بأرفع مراتبه وأدواته ويغطّي أكبر مساحة ممكنة من الوجود الإنساني، فيخلد ويخلّد صاحبه..

إذن لا بدَّ من أن تكون عملية الإصلاح عقلية معرفية، وذلك لمواجهة الجمود الفكري من ناحية، والاستجابة لمستجدات الحياة من ناحية أخرى، وأن يكون الإصلاح من طريق المنظور القرآني؛ لأنَّ الدين هو مصدر القوة كما أكدت رسائل أهل الكوفة التي أثبتت بما لا يدع مجالا للريبة أنَّه كان هناك وعي ذاتي وفكري بمسألة الإصلاح لدى المفكرين الصادقين الذين توجهوا برسائلهم إلى الإمام الحسين (عليه السلام)، فالإصلاح يتعامل مع كليات النموذج المعرفي (الفكر، والتفكير، والمفاهيم، والتصورات، والمنهج).

إنَّ القيم الأخلاقية مثل العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية الفكرية، والحقوق المدنية للشعب، ينبغي أن تستند على عمليات عقلية معرفية عليا منها الوعي والإدراك، ولابدَّ أن ترتبط بحرية فكرية مستندة على قوة إلهية؛ ليستطيع الإنسان التعبير بعمق عنها[1].

٢.الاصلاح الإداري

جعل القرآن الكريم الإصلاح الإداري جوهر رسالات السماء، فوصف به إبراهيم (عليه السلام): ﴿**وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (البقرة: ١٣٠)، ووصف سبحانه به عيسى (عليه السلام): ﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (آل عمران:٤٦)، ووصف به هود (عليه السلام): ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ (هود: ٨٨)

والإصلاح الإداري هو تغيير مقصود وشامل في إطار رؤية مستقبلية للقيادات

(١) كريم الأنصاري، نفحات الذات، ٦-٤٤ .

الإدارية، تحدد ما يجب تحقيقه من إصلاحات إدارية واجتماعية لضمان رضاء الجمهور المستفيد، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا**﴾ (الأعراف: ٥٦)

ومضمون الإصلاح الإداري في منهج التغيير الإسلامي هو التغيير التدريجي الجزئي السلمي، ومن أدلته قول الرسول صلى الله عليه وآله: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان، ليس بعد ذلك من الإيمان شيء»[١].

ومن شروط الإصلاح الإداري الأخذ بمعيار الكفاءة، الذي أقره الفكر الإداري الإسلامي كما بينه الرسول صلى الله عليه وآله.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من استعمل رجلًا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» رواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد، وأخرجه البيهقي بلفظ: «من استعمل عاملًا من المسلمين وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين».

وكما يقول المثل شهد شاهد من أهلها، وهذا حديث رواه يزيد بن أبي سفيان عن قول الرسول صلى الله عليه وآله في محاباة معاوية تنصيب يزيد خليفة للمسلمين.

وعن يزيد بن أبي سفيان عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من ولي من أمر المسلمين شيئًا فأمر عليهم أحدًا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا حتى يدخله جهنم» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.. [٢]

ويأخذ الإصلاح نمطًا للتغيير والنصح: لقوله صلى الله عليه وآله «الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله !؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٣].

(١) محمد الريشهري – ميزان الحكمة – ص ١٩٥٠ .
(٢) أبو نعيم الأصبهاني، فضيلة العادلين من الولاة ص١٠١ .
(٣) البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة برقم ٥٥.

عندما نقرأ التاريخ بتبصر نلاحظ ما وقع فيه من اضطهاد للإنسان وأحدث تغيرات في القانون الإسلامي وعمل معاوية على تفريغ الإسلام من مضمونه، حتى أصبح معاوية يهب الأرض ومن عليها من الناس لبعض الأشخاص، وهذا شيء خطير في الفكر الإسلامي، فقد وهب لعمر بن العاص أرض مصر وأموالها وسكانها المعاهدين ملكا حلالًا له، وهذا تحول خطير ليس في الفكر الإسلامي فحسب وإنَّما في القوانين الإنسانية، وليس هذا فقط؛ بل تم استبعاد المسلمين وكأنهم سلعة تباع وتوهب، فضلًا عن ذلك اتخذ معاوية لقب (خليفة الله في الأرض) وكأنَّه إله من آلهة اليونان القدماء، ومن قوله في ذلك «الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذ من مال الله فهو لي، وما تركته كان جائزًا لي»[١]، والمنطق يقول المال مال المسلمين، والخليفة أو الحاكم ليس له الحق أن يتصرف بأموال المسلمين على وفق هواه، وعليه أن يرجع إلى الحدود القانونية في ذلك.

وفي صحيح الترمذي من حديث أبي بكر قال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: «إنَّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده[٢]، وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «يليكم أمراء من بعدي يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله. وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ويحدثون البدع. قلت: فكيف أصنع؟ قال: تسألني يا بن أم عبد كيف تصنع؟ لا طاعة لمن عصى الله»[٣]

(١) مصطفى صبري: ص ٩٤.
(٢) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ .
(٣) فتح الباري لابن حجر (١٩/ ٣٨٩).

قوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة ٥٠.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ هود ١١٧.

وكما في رسالة الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية التي ركز فيها على إصلاح الجوانب الإداريـة التي يظهر فيها الخلل والفساد، ونقد فيها إدارة معاوية للبلاد الإسلامية وأجبرت هذه الرسالة على طلب معاوية المعونة الفكرية من مستشاريه.

وقد بين الإمام الحسين عليه السلام رسالة إنسانية إصلاحية في خطابه، هدفها محاربة الظلم الاجتماعي، وتصحيح الأوضاع الفاسدة من طريق تغيير فكري أشبه بالثورة الإسلامية لاستمرار الدين الإسلامي، التي تؤدّي إلى إصلاح جذري. لمنع أو لإزالة الفساد الإداري الحاصل بجميع جوانب الحياة، فالإصلاح لازم للإدارة لزومه لجميع شؤون الحياة.

ولذلك أوضح الرازي على لسان النبي شعيب عليه السلام قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨)

في تفسيره الكبير والمعنى: ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي، وقوله ما (استطعت) فيه وجوه منها، أن يكون مفعولًا له أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه.

المبحث الثالث: الخطاب الحسيني الإصلاحي وعلاقته بأنسنة القيم الأخلاقية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أنسنة القيم الأخلاقية في الخطاب الحسيني:

إنَّ كلمة الأخلاق معبّرة وشاملة، ولها أصل عربي، أما القيم هي مفاهيم يتبناها الفرد لتحديد ما هو مرغوب ممَّا يؤثر على عملية اختيارهم للمثيرات الخارجية، ويرتبط مفهوم الإنسنة بالالتزامات الأخلاقية التي تُرشد الإنسان إلى كيفية التفاعل مع بني جنسه وتعزّز القيم الأخلاقية لدى الفرد، مثل: العدالة، وهي ضد العنف في حق الإنسان.

ويعني مفهوم أنسنة القيم الأخلاقية إضافة الروح الإنسانية إلى الأخلاق الفاضلة فهي لا تسعى إلى إذابة الفرد في الجماعة، وإنَّما توسيع وترتيب يسمح بالتجانس والانسجام بين أبعادها الفرد والجماعة، والمجتمع والإنسانية، وهي لا تعني الخروج عن الدين؛ بل هي قائمة على أساس التدين الواعي[1].

لذلك أشار الإمام الحسين(عليه السلام) في مشروعه الإلهي الذي هو امتدادًا لدين جده النبي(صلى الله عليه وآله) أنَّ الإنسان هو غاية الوجود ومن أجله خلق الله ما خلق من الكون، ورتبه أحسن ترتيب وأتم مرافقه على أتم وجه، أخرج إليه الإنسان وأسكنه فيه.

وعليه جاءت منظومة القيم الأخلاقية في النهضة الحسينية لتشكل أنسنة في المنهج المستقيم لحياة كل إنسان، ومنسجمة مع المعرفة وملبية لمتطلباتها، وهي منظومة أخلاقية مترابطة المعاني ثابتة الأركان الاجتماعية تتجاوب مع جميع العصور والثقافات والأزمنة من دون أن تفقد جوهرها القيمي وإنسانيتها، ومن خصائصها الثبات في جميع الأزمنة وتستوعبها جميع مستويات القدرات الذهنية والعقلية وتتضمن أهداف وغايات إنسانية. وتتوجه قيمها إلى الخير والفضيلة لأنسنة سلوك الإنسان حيث تجعل من كرامة

(١) حمدي سلمان معمر، أنسنة التربية كموجه للعلاقات الدولية في الإسلام، ص٥٨٩.

الإنسان محورًا فكريًّا لها.

فالقيم الأخلاقية تنظيمات لأحكام أخلاقية عقلية، وتربوية مصممة نحو الأشخاص والمعاني وأوجه النشاط الاجتماعي، فأي مجتمع لا تنمو التربية البشرية فيه أو تثمر بنتائج إيجابية، إلا بواسطة أنسنة القيم الأخلاقية؛ لتقي أبناءها من التلوث الفكري وتتيح لهم حرية الفكر والتعبير في حدود القيم الأخلاقية في مجتمع إنساني يبنى على أفراد إنسانيين[١].

تبحث الأنسنة في قضايا الفكر الإسلامي وقضايا الأُمّة الراهنة، مثل الحريّة والكرامة والإحساس بالمسؤوليّة والضمير الأخلاقي الذي شكّل مقاصد النّهضة الحسينيّة؟! فهي نهضة حيّة من طريق القِيَم التي كانت تنطق من داخل الميدان، وترسم للأُمّة نهجًا في التحرّر وعدم القبول بالذلّ، فكلّ كلمة نطق بها أبو الشهداء عبّرت عن منتهى ما يطلبه الأحرار.

وقد تغيّر القرارات الحاسمة مصير أُمّة بكاملها، خصوصًا إن كانت تلك القرارات تمثّل مفترق طرق يصعب تصوّر العودة والتراجع عنها، وهي لا تفقد القيم الأخلاقية التي جاءت بها النهضة الحسينيَّة عبر الزمن، لأنَّها قيم جوهرية ثابتة، ولأنَّها من الثوابت وليست من المتحولات، كذلك هي رافد مهم لبناء وإصلاح المجتمع وذلك من طريق المعايير الإنسانية التي جاء بها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته [٢].

ولذلك خطب الإمام عليه السلام بأصحابه بذي حُسُم، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: «إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت جدًّا فلم يبقَ منها إلّا صُبابةٌ كصُبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحقًا، فإنّي لا

(١) سنان سعيد جاسم المنظومة القيمية الأخلاقية في النهضة الحسينية.
(٢) كريم الانصاري ١٢٦ .

أرى الموت إلّا شهادةً ولا الحياة مع الظالمين إلّا برمًا» [١].

وإذا ذهبنا إلى النص الكلامي وأخذنا فهمه وتفسيره تفسيرًا عقليًّا، وجدنا المشتركات الإنسانية، لا تساعدنا فقط في فهم بعضنا بعضا، وإنَّما هي توصلنا إلى فهم مشترك للنصوص؛ إذ إنَّ النص نفسه يعبر عن محتواه [٢]. وهو (أنّ الحق لا يُعمل به وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه).

وعليه يحاكي الخطاب الحسيني التفكير الناضج وثقافة المجتمع الإنساني الإسلامي، وهو يرتقي برقى الإنسان وبرقيّ فكر حامله، وقد يصبح عالميًّا كونيًّا، أي أن يرقى الخطاب ليلامس وعي العالم ونضجه. ومن هنا يجب الأخذ بعين الاعتبار، أنسنة واستنطاق القيم الأخلاقية ثورة الحسين عليه السلام في ملحمة كربلاء.

وتحاول الأنسنة عبر الخطاب الحسيني استكشاف وقدرة الخطاب على استيعاب أبعاده وجوانبه الإنسانية على مستوى الأهداف والمقاصد. وهي حركة إنسانية أراد فيها الإمام عليه السلام تحريك وجدان الأمة التي غلب عليها الجهل والظلم. ومن هنا يمكن تقسيم القيم الأخلاقية على قسمين رئيسين:

القيم الأخلاقية

القيم الأخلاقية هي أمور مركوزة في النفس الإنسانية، فهي وجدانية سواء أكانت فضيلة أم ذميمة، وقد منح الله سبحانه الإنسان الاختيار والقدرة على التحكم في سلوكه فله أن يستجيب لصوته الوجداني (الفضيلة)، أو لصوته الغريزي وهي قيمة أخلاقية عليا مشتركة بين جميع الأقوام والملل في العالم؛ ذلك لأنَّها تمثل السلوك الأصلح للإنسان كذلك من دونها لا تستقيم الحياة الإنسانية، وبذلك تكون الممارسات السلوكية نتاجًا

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٩.
(٢) شبستري من الهرمنوطيقيا الى الانسنة عماد الهلالي ص١٥٣.

طبيعيًا للأخلاق، وكما يعبّر عنها في علم الأخلاق بالفضائل والرذائل: تتصف أنسنة الأخلاق بالعقل والنزوع إلى الحكمة والإصلاح إلى استحسان الفضيلة وهي نوعان:

فضيلة إلزامية: وهي سلوك لا يستسيغ العقل تركه، وأن الإنسان السوي ينجذب إلى القيم الأخلاقية الفضيلة وجدانيا كما يجدها إلزامية ذاتية فيجد في نفسه التزاما وميلا وجدانيا لها، ويدركها على أنَّها ليست على نحو الانجذاب للاقتضاءات الغريزية كالطعام؛ بل هي في موقع وجداني أعلى في النفس البشرية.

فضيلة طوعية: كما في الإحسان غير الواجب إلى الآخرين وإيثارهم على النفس فإنَّ الضمير الإنساني يستحسن ذلك وإن لم يشعر بالإثم عند تركه، وتبنى القيم الأخلاقية فيه على خصال عدَّة أهمها:

١. تجنب الظلم والإساءة إلى الآخرين.

٢. الصدق في القول والسلوك

٣. الوفاء بالالتزام بالعهد وهي وظيفة إنسانية يقوم عليها نظام الإدارة بين الحاكم والمحكوم

٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أما الأخلاق الفضيلة منها:

أ ـ **الأخلاق الحسنة**: وهي ملكة نفسية راسخة تصدر عنها السلوكيات الجيدة بسهولة ويسر، وتلك السلوكيات المقبولة طبقًا لموازين العقل والدين، التي تتطابق مع ما يُسمى في علم الأخلاق بـ(الأخلاق الفاضلة).

وأما الأخلاق الرديئة منها:

الأخلاق السيئة: هي الأفعال التي لا يرضى بها العقل البشري والتي تعكس عدم

الأنسنة، فهي التي تؤلم وتوجع الإنسان، وقال الإمام علي عليه السلام: «كل داء يداوي إلا سوء الخلق، ويعلله بالجهل فيقول: الخلق المذموم من ثمار الجهل»[١].

تصدر عنها السلوكيات والممارسات السيئة بسهولة ويسر، وتلك الأفعال التي لا يرضى بها العقل ولا الشارع المقدّس أو الدين، التي تعكس الصفات البذيئة والأخلاق الرذيلة عند الإنسان. منها:

الظلم: وهو وضع الشيء في غير موضعه، وهو بخس الحق، والاعتداء على الغير، قولا أو عملا، كالسباب، والاغتياب، ومصادرة المال، والضرب أو القتل، ونحو ذلك من صور الظلامات المادية أو المعنوية.

ومن صور الظلم، ظلم الإنسان للمجتمع: وذلك بالاستعلاء على أفراده وإن كان حاكما، وبخس حقوقهم، والاستخفاف بكراماتهم وعدم الاهتمام بشؤونهم ومصالحهم. ونحو ذلك من دواعي تسيب المجتمع وضعف طاقاته.

وأنَّ الأفعال والسلوك مرهونة بصفاء النفس أو تلوثها فمن ارتكب الخطيئة مرة هانت عليه ووسوست له نفسه ارتكابها عندما يجد البيئة الملائمة الملازمة التي تسهل على الإنسان السلوك، مثل ظلم يزيد للمسلمين وقتل المخلصين لله منهم وأبشع المظالم الاجتماعية، ظلم الضعفاء، الذين لا يستطيعون صد العدوان عنهم، ولا يملكون إلا الشكاة والضراعة إلى العدل الرحيم في أساهم وظلاماتهم.

المطلب الثاني: أبعاد أنسنة القيم الأخلاقية في الخطاب الحسيني

لا بدَّ لأيِّ قضية كبرى من أبعاد، وهذه الأبعاد جزء من كل، فإذا أردنا أن نفهم هذه القضية، فلا بدَّ أن نفهم أبعادها مجتمعة، وليس منفصلة، بمعنى أن يكون لدينا فهم شمولي بأبعاد القضية الحسينية، وليس فهم كل بعد على حدة وإنما الأبعاد جميعها

(١) حمدي سلمان معمر، أنسنة التربية كموجه للعلاقات الدولية في الاسلام ص٥٨٩.

باجتماعها تعطينا صورة شمولية عن وحدة موضوعها ككل، وعليه تكون الحركة التغييرية الإصلاحية للإمام الحسين عليه السلام، هي جزء من كل شامل، بمعنى هي جزء من المنظومة الدينية والاجتماعية، **وأبعاد الأنسنة هي الأبعاد التي يترتب عليها مفهوم جديد للإنسان يجعل منه فاعلًا اجتماعيًّا يؤثر في الآخرين ويقرر مصيره بنفسه.**

أولا: البعد السياسي:

يركز على عدم التماهي بين الفرد والحاكم ورد الفاعلية إلى الإنسان، فالإنسان هو المفكر في مصيره ولا يتماهى مع الحاكم الظالم وشروط شرعية السلطة في الفكر السياسي الإسلامي تكون بالاعتماد على ثلاث مراجع تترتب ترتب هرمي:

١. القران بصفته مصدرًا للسيادة العليا الإلهية.

٢. السنة النبوية السيادة العليا للنبي صلى الله عليه وآله.

٣. الاجماع وهي العمليات الفكرية البشرية (الشورى).

إنَّ الإنسان هو الكائن المميز المدعو إلى تجسيد إرادة الله على الأرض بالاعتماد على العقل والنعمة الإلهية لتحقيق العدالة الاجتماعية وتمثل العدالة الاجتماعية التأويل العقلاني لحقوق الإنسان، والتي تتوافق مع روح الإسلام ليس لأنَّها من الأحكام التي جاءت في القرآن والسنة النبوية، أو لأنَّها تجد مبررا لها في الشريعة؛ بل لأنها تمثل التأويل العقلاني لمفهوم الحكم العادل، وهي تخدم الإنسانية في النهاية بدلا من أي نظام يدعى إسلاميا؛ لكنه في جوهر حقيقته استبداديا [١].

وعليه مثل خطاب الإمام الحسين عليه السلام رسالة دعوة لفضح الظالمين، مقابل الإيمان بالدعوة للحق، وأهميتها في تأصيل دلالات القيم الأخلاقية، وفي التعرّف على معانيها الإنسانية، وبما يُعطي للثورة شهادة تاريخية (معنى للخلود)، وعمقًا ثقافيًا وإيمانيًا

(١) سبشتري، ص ٣٠٧.

وإنسانيًا واسع الطيف والمعنى، فإن الإنسان أدرك أهمية الارشاد، وأهمية تعريف الحكم الفاسد الظالم، وبما يجعل فكرة وضوح الحق شاهدًا على وضوح المواجهة مع سلطة الاستبداد، ومع أشكال هيمنتها وظلمها..

ثانيا: البعد الأخلاقي:

تأتي ترجمة مصطلح الأنسنة للمصطلح الفرنسي humanism التي تعني أن يكون الإنسان متميزًا بأخلاق إنسانية فضيلة، وفي سياق هذا الفهم تكتسب العدالة قيمتها من كونها قيمة أخلاقية اجتماعية. وتكتسب المحبة قيمتها من كونها محبة للخير. وتكتسب الرحمة قيمتها من كونها رحمة للإنسانية. ذلك أن العدالة والمحبة والرحمة قيم اخلاقية انسانية عابرة للمعتقدات والثقافات، والقارات .

ويمكن ان تكون القيم الاخلاقية الانسانية المستقيمة معيارا صادقا للانسنة في كل زمان ومكان ولجميع الاديان مع اختلاف المفكرين في عقائدهم الفكرية ولذلك قال الحكماء (ان اعتدال الانسان في الاخلاق قد يكون السبب في سعادته) .

فالاخلاق الحسنة هي سلوكيات جيدة مقبولة لجميع معايير العقل البشري وتؤدي الصعود الى سلم الفضيلة، والخلق الانساني الراقي، ومن قوله تعالى ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ القلم ٤ .

ومن الاحاديث الشريفة (حسن الخلق نماء)[1] وعن جابر بن عبدالله، عن الرسول صلى الله عليه وآله (من سعادةِ المرءِ حسنُ الخلقِ ومن شقاوتِه سوءُ الخلُقِ) [2].

وسر بقاء الفرد والمجتمع هي القيم الاخلاقية الفاضلة واستقامة حياتهما، وذكر التاريخ ان من اهم اسباب تقويض الامم ونهايتها كان في انحلال وتفكك نظامها

(١) أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل .
(٢) السفاريني الحنبلي: شرح كتاب الشهاب ص: ٤٣٨.

الاخلاقي، وما يميّز الخطاب الحسيني أن موضوعه هو الاصلاح ورسالته انسنة القيم الاخلاقية النبيلة. ومن هنا يكون الخطاب الحسيني بمستوى موضوعه. ووسيلة ناجحة في بيان اخلاق رسول الله ص واهل البيت عليهم السلام، وما يمكن أن يقدّمه للإنسان والإنسانيّة.

يقاس نجاح الخطاب الحسيني في مدى قدرته على العمل، بمقدار ما يكون هادفًا. وبمقدار ما يمتلك من المعرفة بقيم الثورة وأهدافها من جهة، ودراية بالواقع وظروفه من جهة أخرى، وبمقدار ما يحسن الوصل ما بين تلك القيم والأهداف، وما بين الواقع ومشاكله وتعقيداته، شرط أن يقوم ذلك الوصل على أساس من الحكمة، والوعي، وحسن البناء، والبيان، والتوظيف[1].

ثالثا: البعد الوجداني:

تضمن الخطاب الحسيني البعد العاطفي والوجداني، لكن ما يجب التأكيد عليه، أنَّ هذا البعد هو بعد هادف في جملة من مقاصده، وهو ما يتطلب الوصل بين ذلك البعد والأهداف التي يسعى اليها، وعدم الاكتفاء بإشباع البعد الوجداني، من دون الالتفات إلى المقاصد الفكرية التي ينبغي الوصول اليها.

مؤكدا ان من اهداف البعد الوجداني لطرح أي قضية او موضوع هو هدف التقبل أي تقبل المفهوم وهنا اعني تقبل مفهوم الاصلاح، فإذا كنَّا نرى أنَّ من وظائف الخطاب الحسيني الإسهام في تهيئة الإنسان لتقبل المفهوم وجدانيا، وتأكيد إيجاد التكامل في الخطاب الحسيني بين العاطفة والفكر، فعلينا أن ندرك بأنَّهما معًا يؤديان أكثر من دور في تحقيق أهداف ذلك الخطاب الإنساني ومقاصده، و بأنَّ لكلٍّ منهما فعله وأثره، الذي ـ وإن كان يتكامل مع الآخر ـ في تحقيق رسالة الخطاب وقدرته التّعبيريّة التي من طريقها

(١) محمد شقير، الخطاب الحسيني ومقوماته البنائيّة ص٢٤.

يستثير مشاعر التّعاطف مع المظلوميّة للمسلمين، كما انه يعد النفوس لتقبل الدفاع عن القيم الاخلاقية النبيلة والتفاعل مع قيم الثورة الحسينية، ومعانيها ورسالتها.

المبحث الرابع: تأكيد المنظور القرآني للقيم الأخلاقية في الخطاب الاصلاحي

يشتمل القرآن الكريم على منظومة قيم أخلاقية تسهم في تشييد مجتمع الفضيلة الذي هو غاية المشروع السماوي. وتستمد شرعيتها من العقل والشرع (والقرآن) قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾الأسراء ٩، مهمته بيان حقائق السلوك الإنساني ونتائجه من طريق ما يطرحه من مفاهيم منهجية، والمفهوم هو فكرة مجردة تمثل الخصائص الأساسيَّة للشيء الذي تمثله، أو ما ينتزعه الذهن من خصائص الشيء سواء كان له وجود خارجي أم لا. لكنَّ المهم من أين يستمد المفهوم سلطته؟ يستمد المفهوم سلطته ضمن سلطة النص، ومن أين يستمد النص سلطته؟ يستمد النص سلطته من مصدره،كلام الله سبحانه (القران الكريم) وبيَّن القران الكريم بوضوح ما يترتب على الالتزام وعدم الالتزام بها أخرويًّا، فكانت تكملة الآية المتقدمة: (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا، وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**) هدفه إيجاد دافعيَّة ذاتيَّة لاستقامة الإنسان، وهذه الدافعية أمَّا أن تكون دافعيَّة خارجيَّة قانونيَّة تتطلَّب الإلتزام بها مثل المنهج القرآني أو تكون دافعيَّة ذاتيَّة داخليَّة، وهذه تتوقَّف على قوَّة إيمان الفرد، ونجدها جليَّة عند الأولياء والصالحين [١].

رفضت الأنسنة اغتراب الإنسان واضطهاده، وطالبت باحترام الكرامة الإنسانيَّة وحق الأشخاص إلى أن يعاملوا بوصفهم غايات إنسانيَّة عليا؛ ليعيش الإنسان ضمنها حرًّا كريمًا، وأنَّ شعور المؤمن بذاته وإنسانيَّته مرتبط بإدراكه بخالقه، وعليه يكون

(١) العبادات والأخلاق في منظور المفكر العراقي ماجد الغرباوي، https://tanwair.com/archives.

الإنسان قيمة عليا لا يجوز المساس بها [١].

إنَّ الإسلام مبني على المنطق العقلي الذي يتخذ من القيم الاخلاقية النبيلة هدفا ساميا له، لذلك جاء الرسول محمد صلى الله عليه وآله ليتمِّم مكارم الأخلاق، وفيه قال الرسول صلى الله عليه وآله (الدين حسن الخلق)، وجعل صلى الله عليه وآله مكارم الأخلاق هي الهدف السامي من بعثته الشريفة (إنَّما بعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق).

لذلك أعطى الدين الإسلامي مكانةً للعقل في الإصلاح، وانطلق من مبدأ أنَّ الإسلام ينطوي على الدين العقلي، والقانون الخلقي مما يجعله صالحًا؛ لأن يكون ملائما لكل حياة اجتماعية، لمجتمع مستقر ومتقدم .

وتآخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل بتصريح لا يقبل التأويل ما لا يمكن الاعتقاد به الا من طريق العقل كالعلم بوجود الله وارسال الرسل، وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة، وكالتصديق بالرسالة نفسها [٢]

وقد عدَّت الانسنة الإنسان غاية الدين ومحور الفاعلية الحضارية، وله قدرة الخطاب الفكري، ولا يمكننا معرفة الانسنة دون ربط العلاقة بين علوم الدين و علوم ومعارف الانسان المختلفة، لذلك نجد كل اخلاق الأديان أرضية بشرية تتجسد في سلوك الإنسان ومنجزاته ومكاسبه المتنوعة من العلوم، وترتسم في تجليات إبداع عقله وإنتاجه[٣] .

إنَّ دين المرء هو اخلاقه و ثقافته سواء كان الانسان مدرك لدينه ام يأخذه بعدم اكتراث، وعليه تكون الدعوة إلى إنسنة الأخلاق ذاتها النشاط الإنساني المميز [٤].

(١) محمد اركون، نزعة الانسنة ص٦٠٨
(٢) عبدة، محمد، رسالة التوحيد، ص١٦
(٣) عبدالجبار الرفاعي almadapaper.net
(٤) المصدر نفسه

يشير المنظور الديني ان لا تكون السلطة مدعية المعرفة لنفسها فقط بحيث تسيس الدين لصالحها وبهذا تكون قد اخضعت الدين لغرضها وجردته من صفة الايمان لله سبحانه وجعلته يميل الى عنصر التماهي مع الظالم كما في سياسة يزيد

وعليه اتفق العلماء والمؤرخون أنّ التغييرات الاصلاحية التي قام بها الاولياء والصالحون و المفكرون لا سبيل لها إلا إلى نموها؛ بدافع التفاعل الاجتماعي في الاتجاه السليم خدمة للإنسانية، وكنتيجة حتمية للنمو الاجتماعي، من دون إهمال العقل الواعي الذي من شأنه أن يفضي إلى الإنتاج الانساني المثمر.

وهذه المسؤولية مسؤولية دينيّة أخلاقية، فحماية المجتمع من الانحراف وظيفة اجتماعية إلزامية ولا يجوز التخلي عنها في أي حال من الأحوال، فعن حذيفة قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثمّ تدعونه فلا يُستجاب لكم» [1] وعليه يعد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اهم فرائض الدين، قال تعالى ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران – ١٠٤) .

وقال سبحانه في وصف اخلاق المؤمنين ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ التوبة (١١٢).

﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ (٤١)الحج .

وجعل الله سبحانه في عباده الاختيار المبني على الإرادة الحرة لكي يسير الإنسان

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي:، ص٢١٥.

بالاتجاه الصحيح وتؤثر مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأثيرا كبيرا في صلاح الأُمّة؛ ولذا كان لدعوة الاصلاح من خلال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر المكانة السامية في شريعة الإسلام، وقد عهد الله تعالى إلى الأُمّة أن تقوم بالدعوة إلى الإصلاح: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ آل عمران: آية ١٠٤.

والداعون المصلحون هم ورثة الأنبياء والمرسلين لتقويم النفوس وإنارة البصائر وفتح طريق الحكمة[١].

النتائج:

يسعى الخطاب الإصلاحي في النهج الحسيني الى انسنة القيم الإخلاقية والوثوب بوجه الطغيان والظلم والاضطهاد.

ويكشف البحث أنَّ الخطاب الحسيني خطاب إنساني قيمي إصلاحي، له امتدادات اخلاقية يسعى إلى إيجادها في السلوك العملي مصدرها المنهج القرآني، وهو بذلك يعكس حال الجهل والظلم في الواقع ويحقق العدل الإلهي وإعلاء كلمة الإسلام في الأرض.. ويفصح عن حقيقة مهمة تعتمدها الشرائع السماوية والمبادئ الإنسانية ألا وهي أنسنة القيم الأخلاقية.

أثبت الخطاب الحسيني بطلان حاكمية يزيد ومن يسير على نهجه، وأنَّ توليه مسؤولية الأمة يعود بالضرر الجسيم على الأمة.

يمثل الخطاب الأخلاقي الحسيني القيم الأخلاقيَّة، ولإدراك طبيعة الصراعات التي كانت تكتنف المشهد السياسي، التي دفعت إلى افراز نمطٍ للسلطة المتوحشة، أو لما سُمّي ب(الحكم العضوض) والتي دعت بالمقابل الإمام الحسين للثورة،

(١) الخضر، حسين محمد، الدعوة إلى الإصلاح: ص١٠.

ولرفض هذه السلطة الطاغية؛ إذ حمل شعاره بُعدا استلهاميا للمواجهة، ولتحدي الظلم والطغيان، ولعلَّ قولته الشهيرة (إني لم أخرج أشرا ولابطرا ولامفسدا ولاظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي) هي الدليل على العمق الاخلاقي للثورة، ولهوية الخطاب الانساني والاصلاحي الذي تبناه(عليه السلام)، وحمله، ودافع عنه، رافضا الخنوع، والإقرار بالخذلان للسلطة الغشوم.

كذلك يحمل الخطاب الحسيني أبعاد إنسانية، ويهدف إلى ردع الطغيان والاستبداد والانقلاب على الواقع الفاسد الذي خلّفه الجائرون، وكسر قيود الاستعباد من أجل التحرر والعيش الكريم للإنسان. ويبين أنّ الإصلاح ينطلق من داخل النفس البشرية، إذ هي المحرك لجميع فعاليات الإنسان.

وأسقط الخطاب الحسيني الأقنعة التي كانت تتستر بها بنو أُميّة ومَن تبعهم بستار الدين، وكشف عن القيم الاخلاقية الرذيلة التي اتخذها يزيد، وفضح أعمالهم النكراء التي ترفضها الشريعة السمحاء وتستهجنها الإنسانية لما تروم إليه من هدم لأركان الدين الحنيف وأنسنة الإنسان.

وقد وضح الخطاب في نهج الإصلاح الحسيني أنّ عملية التغيير ضرورة حتمية ولا بدّ أن تمتلك صفة الديمومة للحفاظ على سلامة الدين والمجتمع. وأنّ أمر الإصلاح للواقع الاجتماعي وتغيير مسيرة انحراف الأُمّة عن المنهج القويم هي المسؤولية الدينيّة والدنيويّة لكل إنسان ما أكسبها سِمَة المعاصرة والخلود.

المصادر والمراجع

القران الكريم

الحديث النبوي الشريف

١. اركون، محمد، ١٩٩٧)، نزعة الانسنة في الفكر العربي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي.

٢. (١٩٩٩) الفكر الاصولي واستحالة التاصيل، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي

٣. (٢٠٠٨)، الأنسنة و التأويل، ص٧-٤٣ أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الفلسفة جامعة منتوري- قسنطينة

٤. (٢٠١٢)، الفكر الاسلامي نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي

٥. إدريس هاني، النّهضة الحسينيّة من منظور مغربي www.erfan

٦. اندري لالانـد،(١٩٩٦)، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب حسين احمد خليل، منشورات عويدات لبنان ج٢

٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٩.

٨. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج٤.

٩. الخضر، حسين محمد، (٢٠١٨) الدعوة إلى الإصلاح: مصر، القاهرة

١٠. ابن اعثم، الفتوح، ج ٥، ص ٢١.

١١. ابن منظور - لسان العرب - ج ١٢.

١٢. ابو نعيم الاصبهاني، فضيلة العادلين من الولاة، المكتبة الشاملة.

١٣. المعجم الوسيط (١٩٦٠)،، دار الدعوة تركيا

١٤. حازم طارش حاتم، سوسيو لسانية الخطاب الحسيني عليه السلام. كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة، بدون سنة

١٥. حمدي سلمان معمر،(٢٠٠٩) انسنة التربية كموجه للعلاقات الدولية في الاسلام،

جامعة الاقصى مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والاجتماعية المجلد ٢٥ العدد ٢

١٦. سنان سعيد جاسم، (٢٠٢١) القيمية الاخلاقية في النهضة الحسينية مجلة الإصلاح الحسيني – العدد ١٧ مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

١٧. زياد عبد الكريم النجم، (٢٠١١) تويبني ونظريته...التحدّي والاستجابة، الهيئة العامة السورية للكتاب

١٨. علي اسعد وطفة، مفهوم الاخلاق قراءة فلسفية معاصرة، ٢٠٢٠، مركز نقد وتنوير الدراسات الانسانية https: / /tanwair.com/

١٩. عبدالجبارالرفاعي almadapaper.net

٢٠. عبد الكريم عبد الحسين الدباج،(٢٠٢٢) الخطاب السياسي في نهج الإصلاح الحسيني،مؤسسة وارث الانبياء للدراسات التخصصية.

٢١. عبدة، محمد،(١٩٩٤) رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة

٢٢. عماد الهلالي، (٢٠١٥) شبستري من الهرمنوطيقيا الى الانسنة،، مركز البحوث المعاصرة في بيروت، http: / /nosos.net/

٢٣. عمر السيد، (٢٠٠٦) مدخل الاصلاح في الامة جدالات الديني والسياسي بين الداخل والخارج، مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة

٢٤. عايدة الجوهري، اليسار الماهية والدور، مطبعة الفارابي بدون سنة

٢٥. طارق زين العابدين، (١٤١٨) دعوة إلى سبيل المؤمنين، مطبعة للآستانة الرضوية المقدس، ايران،

٢٦. محمد باقر السستاني، تهذيب النفس، سلسلة محاضرات تربوية، بدون سنة

٢٧. محمد علي ميرزائي،(٢٠٢١) المرجعية الفكرية للفكر الاسلامي، مجلة: الاستغراب العدد: محمد شقير الخطاب الحسيني ومقوماته البنائيّة الجامعة اللبنانية ٢٠١٦.

٢٨. محمد الريشهري - ١٤٢٢ ميزان الحكمة - ج ٣، المكتبة الشيعية

٢٩. كريم الانصاري، نفحات الـذات،ج٣، ٦-٤٤، منشورات دليل ما، لمطبعة: نگارش، بدون سنة

٣٠. نصار، أسعد نصار،(٢٠١٩) إصلاح الأُمّة في ضوء الكتاب والسنّة (دراسة في مفهوم الإصلاح واتجاهاته وآلياته)، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية: العدد١،

٣١. هاشم صالح،(٢٠٠٥)، مدخل الى التنوير الاوربي، دار الطليعة و رابطة العرب بيروت لبنان